تهذيب الفرد في المجتمع الانساني

معربة من كتاب علم الاجتماع لهربرت سبنسر

(١)

تهذيب الفرد لفظ يراد منه معاونته على التذرع بالذرائع التي توٴهله الى حياة تامة في هذا الوجود . والتهذيب من حيث هو يشتمل على امرين احدهما ان يكسب الفرد شيئاً من العلم ثم يحببه بشيء من العمل وكلاهما نافع . بل هما من الامور التي يترتب عليها قوام معاش الفرد والاسرة والامر الآخر يتضمن ترقي القوى المودعة في الفرد على اختلاف انواعها وهذا الترقي يمكن تلك القوى من نيل اللذائذ التي تهديها طبيعة الوجود والبشر الى نفوس تقبلها وتستطيع ان تستمتع بها .

النوع الاول تحث عليه الاخلاق وتوجبه لان به يحصل التلاؤم بين الفرد ومحيطه ويصبح خليقاً بالوجود . ولما كان لهذا النوع علاقة بالحياة كان الحصول عليه من واجبات الفرد نحو نفسه ثم نحو المجتمع . واصحاب العمل اليدوي لا ندحة لهم عن احراز هذا النوع من التهذيب لان به معاشهم ولاغنىً عنه لكل فرد من البشر اللهم الا لمن انتقل اليه شيء من الرزق بالارث فيمكنه ان يعيش به . اما سائر الافراد فانهم اذا اغفلوه ولم يتعنوا له يتعذر عليهم مناصبة الطوارىء الطبيعية التي تقضي بنسخ الضعيف ليقوم مقامه الاقوى . وينتج من هذا ان الفرد الذي لا يكون متأهباً التأهب التام بهذا التهذيب يصبح كلاً على كاهل سائر الناس هو واسرته وولده فاذا هم ابوا تقديم الضرورات له ولنسله فلا يتخلصون من قلق وسآمة ينالانهم عند مشاهدة عجزهم وألمهم . وهو بلية على البشرية مصدرها اولئك الذين عاثوا في الارض فساداً وبخسوا التهذيب حقه وخلطوا فيه اذ وهموا فيما يتقاضونه فاطلقوه على معلومات ربما حملت في مطاويها ضرًا اكثر من نفع وربما كانت وسيلة لاكثار القاعدين الذين لا طاقة لهم بهذا الوجود . هؤلاء باسم العلم والتهذيب يثقلون مناكب البشر ويكلفونهم بتقديم القوت وسائر الحاجات . يتسمون بسمات لو نزعتها عنهم لرأيت تحتها العجب العجاب .

اما النوع الثاني فليس له نهج خاص ولا يجب ان ينحى في طلبه طرق معلومة والاولى ان تترك القوى وشأنها فلا يكون الواجب مسيطراً عليها ودليلها الطبيعة والسليقة وهما تسوقان الفرد الى معرفة اللذائذ التي هو اهل ان يتمتع نفسه بها والتي اذا تغاضى عنها ولم يبال بها كان

ذلك باعثاً على انتقاص سروره وزيادة ألمه . ان اهل الزهد يتخلون عن البشر وينعزلون الى مسخ جسومهم وتعذيب ابدانهم ويحظرون على اتباعهم اية ملذة كانت وينفرون من كل ما يطلق عليه هذا اللفظ على ان تعظيم العامة لهم ومجرّد ذهابهم الى ان العناية الغيبية راضية عنهم فيه من اللذة ما فيه هذا مع انه لا دليل لهم على قبر انفسهم وكراهتهم للذة . وغلوهم في الزهد حدا بفرقة الكوكر (Quakers) ان ينددوا بهم ويخطؤهم . وقد رأينا طائفة من الفلاسفة مذهبهم ان السعادة هي اسمى فضيلة وفلسفتهم تدعى المدنية (Hedonism) فهؤلاء يحرضون على ترقية المدارك والعواطف وتمرينها على معالجة المحسوسات بحيث تصبح خليقة ان تكسب منها كل ما من شأنه جرُّ سرور لصاحبها او رفع ألم عنه وعلى التمادي تصل به الى السعادة المنشودة وكله استعداد لحياة تامة وهذا مما يقتضيه التهذيب على ما مرَّ بك وتحث عليه الاخلاق .

(٢)

ترى مما تقدم اننا وصفنا التهذيب وصفاً عاماً ونتوخى الآن ان نورد لمعاً عن فروعه المتفاوتة ومآخذه المتعددة . فمن جملة هذه الفروع التهذيب العملي وهو اعظمها خطراً على ان الناس لا يقدرونه حق قدره وقد كاد يهمل امره في كثير من معاهد الطلب وتلافى هذا الخطر اهل النظر فقاموا يشدون أزره وسموا بادخاله في لوائح المدارس . على ان المنافع التي تنجم عن التمرين العملي والمهارة اليدوية تتجلى لمن توقف معاشه عليهما وانحصرت مصادر ضرورات حياته فيهما على انه لا يسع من كانوا في غنى عنهما لما توفر لهم من دواعي الثروة واسباب الدعة الا الاقرار بالنفع الذي يتأتى من التحصن بهما

ولا نزاع في ان هذا التهذيب يأتي بمرافق خطيرة لمن ينصرفون الى الاشتغال بالصنائع وسائر الاعمال البدنية على انه لا ينبغي ان يعنى به كثيراً في تربية الطلبة الذين عقدوا النية على معاطاة الصنائع في المستقبل لان هؤلاء يتيسر لهم فرص لاتمامه وحسبهم التمرن على شيء طفيف منه . اما الطلبة الذين يتوخون ولوج الدوائر العليا من المجتمع كوظائف الحكومة وسائر الاعمال العقلية فيجب ان تربى فيهم المهارة الفنية والقوى المدركة على السواء لان محيطهم المنتظر لا يمكنهم من الرياضة العضلية وانهماكهم بمضلات المسائل ينسيهم الواجب عليهم لابدانهم .

ثم ان الفرد الذي يهذب عقله وبدنه يكون اقل عرضة لعوامل الوجود وعوارض الطبيعة من مشوّه الجسم وان دهمته نكبة او بغتته حادثة فهو اقدر على درء ضرها عنه وقد يكون عوناً لاخوانه في كثير من الاحايين بيد ان الضعيف من البشر يعرضه ضعفه الى الوقوع

في حبائل النوائب وقد يؤدي به الى الهلكة ان لم ينشه قريبه المقتدر فترى من هذا ان مشاعر الفرد واعضاء بدنه لها غاية واحدة وهي المناسبة والمطابقة بين اشكال الفرد وبين الاشياء والحركات التي تتناولها افعاله فوجب اذاً على البشر ان يرقوا مداركهم وجسومهم على السواء لتكون خليقة بافعال ذات شأن حتى يكمل التناسب بين الفرد والمحيط .

ان في الطرائق التي تتخذ الآن في تربية الطلبة نقصاً محسوساً . وما اسخف تربية تلقن برمتها بمثائل تلقى على الطالب ليعيها في حافظته فالعلم معلى شأنه والعمل مهمل امره ولا يسوغ الشطط في وجوه التهذيب فالتمرين العملي واجب وينبغي ان ينظر فيه الى الغاية التي ينشدها الفرد ويريدها ان تكون أساً لحياته ثم هو يتروى في فوائد التمرين ويأخذ منه قدراً ينفعه في ادراك غايته ويهمل مالا يجديه اما المنافع التي تكون من تهذيب القوى بأسرها فما لامراء فيه وهي تظهر في كل عمل من اعمال البشر .

(٣)

التهذيب العقلي هو الفرع الثاني من تهذيب الفرد ولعله ينطبق في مأخذه على الفرع الاول فكما ان في التهذيب العملي رياضة لاعضاء بصور تعدها لمعالجة الاشياء مباشرة فهكذا التهذيب العقلي يوجب تمرين العقل وتجهيزه للمطابقة بينه وبين الاشياء ومعالجته اياها بواسطة الاعضاء . على ان التهذيب العقلي باعلى صوره هو فوق طاقة العامة فيكاد يخفى عليهم ان ثمة علاقة بينه وبين الحياة العملية وان بينهما مطابقة وانه نافع للبشر في تحصيل معايشهم وما ذلك الا لضعف نظرهم في الامور وجهلهم بطبائع الاحوال . فقد نسوا ان العود الذي يرفع به ثقل وان الدولاب والجذع اللذين يستخدمان في باخرة ماهي كلها تطبيق لمباديء العلم في نظريات المخل . نسوا ان تثقيف النبال يقتضي علماً ببعض مباديء القوة والحركة في العلم الطبيعي . واننا نحن نتدرج من هذه المباديء البسيطة في العلم ثم نتطرق الى نتائج رياضية وفلكية وان العلم نفسه نشأ نشوءاً وما زال يترقى حتى بلغ حاله المعهودة الآن وان المعارف المشوشة التي ابتدأ العلم بها قد كانت للبشر اساساً لاكتشاف العلم المنظم والنافع للفرد وبدونه لا يقوى على الحياة . الا ترى ان المعارف العالية في الفلك وسائر الرياضيات هي دليلنا الامين في المعامل ومكاتب اهل العمل التجاري وفي تسيير السفائن والبواخر . وان علم الحكمة والكيمياء ليس لنا عنهما غنى في التجارب العملية والتحليل المادي وعلى الجملة فالتهذيب العقلي يوجب ترقية قوة الفرد ومواهبه وبذلك يؤثر في محيطه ثم يستعد لان ينفع نفسه ويحيا حياة تامة . ولما كان التهذيب العقلي وسيلة لمعرفة طبائع الاشياء وجب توسيع نطاقه معها امكن فلا يجوز للفرد ان يتخذ جزءاً منه ويغفل اجزاء ولعل هذا

من نقائص الاساليب الحاضرة في تعلم الصنائع . فان العلم ببضعة من الظواهر الطبيعية مع جهل سائرها قد يؤدي الى غلطات فادحة في ابداء الاحكام في احوال الموجودات وقد يتعذر بقاؤه في الذاكرة .

ثم ان لكل شيء وكل عمل في هذا الوجود روابط تربطه الى ظواهر الكون على تباين صنوفها فمنها ما هو رياضي ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو كيماوي ومنها ما هو حيوي وهذه الظواهر جميعها مشتبكة بعضها ببعض حتى ان العلم التام بجملة منها يقتضي العلم ببادىء بقيتها . وقد يستغرب بعضهم من الحث على توسيع التهذيب العقلي الى هذا الحد ويخيل لهم ان ذلك لا ضرورة تدعو اليه على ان تعميم التهذيب على هذا الاسلوب يمكن الفرد من ادراك حقائق كل علم على حدته دع عنك ما فيه من ادراك النتائج الاصلية التي تتفرع عن هذه الحقائق ولا يجب عليه ان يبحث عن تشعباتها ونسبها وتفاصيلها فليس ذلك من شأنها وبعد ان يقف على مبادىء العلوم باسرها يصبح ذا المام بظاهر الكون جميعها واذذاك يكون قد استعد استعداداً تاماً للاخصاء فيصرف نفسه الى جملة من ظواهر الطبيعة ويعمد الى درسها واتقانها .

ترى من هذا ان الاجتماع نفسه يحث على التهذيب العقلي من وجه مضمن لانه كما عظم شأنه سهل امر معاش الفرد والاسرة . وبالجملة استدر المجتمع النفع العام . وهنالك وجه آخر ظاهر يؤيد التهذيب العقلي على انه ليس له علاقة بالحياة العملية وهو مستقل عنها كل الاستقلال وهاك ما نقصد على سبيل الايضاح : — اكثر البشر لا يدركون عظمة الكون وذلك لقلة مادة العلم وكساد بضاعة التهذيب بينهم فالخادم وصاحب الحانوت وحامل العلم والاديب جميع هؤلاء لا يدركون عظمة ما في هذا الوجود من حي وجماد ولا يدركون ما يستطيع ادراكه ناس انقطعوا الى درس حركات الطبيعة وظواهرها . هؤلاء يقدرون ان يبحثوا في دقائق الطبيعة و يسرحوا مخيلتهم في الكون بعد ان يكونوا قد اقصوا عن عقولهم المباحث والخواطر التي تتعلق بالحياة العملية . تصوّر ردهة مزدانة حوائطها بانواع الزين وقد دخلت اليها في جنح الدجى ولم يكن فيها الا شمعة منارة موضوعة بقرب زاوية في الحائط . فبان لك شيء من الزينة والنقوش وخفيت عنك اشياء وبينا انت في هذا الحال أنيرت مئة قنديل كهربائي فازالت من الردهة رداء الظلام الحالك ومثلتها لعينيك بما فيها من الزين والنقوش . هذا مثال ينطبق على ظواهر الكون كل الانطباق فالعلم يعلي شأن الحياة العقلية وكلما كان تهذيب الفرد اتم كان نظره في الكون اوسع .

فينتج من هذا ان درس نظام المظاهر الطبيعية يوجد في الفرد علماً عاماً باحوالها على

انه يؤدي به الى حدود يقف عندها العقل البشري في دهشة و يتقاصر عن تجاوزها كل بحث وعبروا عنها بقولهم ماوراء الطبيعة . وهذا الدرس يمكننا من ادراك العلاقة بين الفرد واسرار الوجود ويخولنا ان نشارك الطبيعة ونتمتع بما تفيضه علينا من سوابغ النعم وعظيم اللذائذ .

(٤)

اما العلم الذي يجب على الفرد ان يتطلبه فعلم الاجتماع وهذا يتضمن الاطلاع على التاريخ ولاسيما ما كان يبحث منه عن الوطن وما له علقة به وينبغي تتبع آثار الامم والرجوع بها القهقرى الى ما قبل انبلاج فجر حضارتها والبحث عن آثارها في لبنان بداوتها لان هذا البحث هو المصدر الذي نشأت منه الحقائق الاجتماعية المتفرقة وهو مهمل في دوائر التربية الحاضرة . ثم انه يجب الوقوف على احوال الامم المشرقية لان ذلك يقتضيه علم العمران ويوجبه . ودرس التاريخ يجب ان يتناول بالاكثر احوال الامة وكل ما ليس له علاقة بالاشخاص على انه لايجوز اغفال سيرة الرجال بتاتاً ولايجب ان يبخس حقه . غير ان المؤرخين افرطوا في الاهتمام به حتى انهم حصروا علم التاريخ بتراجم العظماء . وما زال الاغمار في كل عصر يؤيدون هذا الرأي . وقد صرّح كارليل ان علم التاريخ كناية عن تدوين حوادث قام بها الملوك مضافاً اليه ترجمة حالهم والناس الآن يميلون الى الاطلاع على تواريخ الرجال الغابرين كما يرغبون في الاطلاع على احوال المعاصرين . والغرض من درس التاريخ هو الاطلاع على نواميس النشوء الاجتماعي وهذا لا يتيسر بالوقوف على ترجمة حال الملوك والوزراء والبابوات والقواد ولا بالعلم بما شنوه من الغارات او قاموا به من المحاصرات او احدثوه من المؤامرات وابرموه من المحالفات والمعاهدات .

ثم انك اذا تدبرت الطرق التي ترقى بها المجتمع تراه ان رقيه كان بادىء ذي بدء في تقسيم الاعمال وتوزيعها على الافراد وكثيراً ماحدث التقدم بدون رضى الحكام . هذا يدلك على ان النشوء العمراني يجري مجراه فيكيف المجتمع وينوعه غير مبال بالعوائق التي يحاول الكبراء صده بها . ويليق بنا ان نعلم شيئاً من الاعمال التي قام بها بعض الملوك ونطلع على اخلاقهم لما في ذلك من النفع لنا في ادراك مشاهد النشوء التي حدثت في زمانهم والتي ان هي فصلت عن حوادثها وعن اشخاص كان لهم علاقة بها تعذر ادراكها حق الادراك . ثم ان المعرفة المتوسطة من هذا العلم تعيننا على ادراك الطبع البشري ونقف بنا على يفاع نشرف منه على ما بلغه الانسان عند طرفين متناقضين وهما الضير والخير فمن البشر من يسعى الى دمار العمران وخرابه ومنهم من يسعى الى اعلاء شأنه وتوسيع نطاقه .

اما علم الادب فلا ريب ان له شأناً عظيماً في تهذيب الفرد واعداده لحياة تامة ولا يجب مع هذا ان يخص بوقت طويل لاسيما في تهذيب الراشدين واعني بهم من بلغوا من العمر ما يناهز العشرين وذلك لان البشر عموماً يرغبون العمل في امور تلذهم ويستهلهن معاطاتها . فالتاريخ المتعارف والشعر والروايات وتراجم العظماء طالما عني بها كثيرون وانصبوا عليها وانصرفوا اليها اما العلم الذي يبحث عن الطبيعة وظواهر الكون فليس للبشر ميل اليه ولذا رجبت العناية به اكثر من الاديبات . على ان للاديبات قدراً عظيماً عند اصحاب الهدونية (Hedonism) يتخذونها من وسائل بلوغ السعادة لان عليها تترتب البلاغة في الحديث والطلاقه في اللسان ومنها تكتسب العبارة جزالة ورقة وبها تتولد اللذائذ العقلية وتنصبغ المشاريع الاجتماعية ولولاه لكان الحديث كناية عن الفاظ يتفاهمون بها وهي خلو من الحياة كالجسم اذا فقد الروح .

(٥)

بيد ان البشر يتطرفون جداً في متابعة تهذيب الفرد فمنهم من يفرط فيه ويغفله بتاتاً فيخسر فوائده جهلاً . ومن سلك هذا المسلك هم السواد الاعظم من البشر ومنهم من يفرط فيه كأن ينصرف بكليته اليه فيؤدي به هذا الافراط الى اضرار ربما كانت مهلكة .

قال اميرسون: ان من شرائط التهذيب الاولية ان يكون الفرد حيواناً قوياً وهو قول ينطبق على افراد البشر بدون تفرقة . فالحياة التي تزري بالوجه الحيواني من الفرد ليست حياة . وان كان يعذر صاحبها في بعض الاحوال فانه ملوم على وجه العموم . ولو تقصينا احوال البشر ومعارفهم لظهر لنا انه لا يمكن انفصال العقل عن الحياة ولا انفصال الحياة عن الاجسام ونتبين انه لا يمكن ان يحيا الفرد حياة تامة الا اذا كان قوي البنية شديد العضل وان الاعتداء على شرائع الصحة الطبيعية يؤدي بالفرد الى مضار طبيعية ويجلب مع الزمن مضار تشوش العقل وتضعضع احواله . ثم انه لا ينبغي للفرد ان ينصرف الى التهذيب الاعلى الا بعد ان يكون عرف انه اكمل الواجب عليه من سائر مطالب الحياة ولا يجب ان يكون تهذيبه عقبة امام نشوء الجسم ولا ان يتوخى منه التمرين على الحركات القانونية التي تتضمن الالعاب اليدوية فان هذه لا تنفع في الحياة الا قليلاً . ومن الخطإ الفادح الاهتمام المفرط بالتهذيب بحيث تنتهي الحال بالانسان ان ينصرف به عن سائر اللذائذ الطبيعية وقد يولد فيه هذا الافراط سآمة تناله في نفس الموضوعات والاشياء التي اخذ النفس بها ولعل هذا الكره متأت عن الضغط الشديد على النفس واكراهها على سلوك مسلك مذموم . وان الافراط في تهذيب النساء تهذيباً عالياً مذموم في ذاته لما يجلب عليهن من الاضرار

الجسيمة قال بعضهم : ان جامعتي غرتون (Girton) ونيهم (Newnham) في كمبردج (Cambredge) ليستا على صواب في تهذيب البنات لانهما متطرفتان والتهذيب الذي نستعملانه مناف للصحة الجيدة . وهو قول حق اذا أُخذ على بابه . على ان قائليه يخلطون في فهم معنى « الصحة الجيدة » و يعنون بها سلامة الجسم من التوعك والانحراف الظاهرين . اما نحن فنريد منها ان يكون الفرد ذا مزاج قوي وان يكون فيه نشاط في الحركة . فترى ان القول المار ذكره صحيح وان كان فكره مغلوطاً فيه . وان هناك بوناً شاسعاً بين معاني الصحة فالناس ينظرون الى الظواهر

ومن الغريب ان كثيراً من النساء يخدعن بظواهرهن فيظن الناظر اليهن انهن متمتعات بصحة جيدة غير انهن في الحقيقة غير خليقات بانشاء نسل صالح لحفظ النوع ذلك ان في المرأة فضلة من الكريات الحيوية ليست في الرجل خلقت لانشاء النوع البشري فاذا أُرهقت الاعضاء بالاهمال والافراط في التهذيب الاعلى كان ذلك باعثاً على نقصان تلك الفضلة وقد تبقى المرأة قادرة على التوليد لبقاء ما يقتضيه في بدنها من القوة الحيوية فلا يشعر بذلك النقصان . ثم انه تتلف من الجسم مقادير عظيمة من الكريات في اعمال اخرى غير اعمال التوليد كالحركات اللازمة للحياة العملية وما يندثر من الدماغ عند اعمال الفكرة واعمال الروية وانفعال المتأثر به وما شاكل من الائتلاف الحيوي الذي يؤثر على التمادي في كريات التوليد فيضعفها . فترى من هذا ان قوة التوليد في المرأة تضعف على نسب متفاوتة فطوراً تضمحل فلا تستطيع المرأة الولادة وتارة تولد ولكنها لا تستطيع الارضاع وفي بعض الاحوال تتأتى اضرار لا اقدر ان اصرح بها . ومن العواقب السيئة التي تنجم عن الافراط في تهذيب النساء وقوع النفرة والتباعد بين الزوجين وهو من النتائج الدقيقة التي لا تظهر الا لاصحاب التروي .

ولو هذبت لوائح المدارس عندنا (انكلترا) بطرق مطابقة للعقل لتأتى للنساء التهذيب الضروري لهن وتخلصن من مضار التربية الحاضرة . يجب ان يلغى منها كل ما يعبث بها من المضار ويبقى كل نافع . ولا يمنع ولاة الامور من الغاء الطرائق الحاضرة الا زعمهم انها موافقة لمقصود التربية .

على ان التربية باسمى معانيها تقتضي الحصول على شيء من العلم ضروري لكيان البشر نافع لانارة الاذهان وتوسيع العقول مقصود به اعداد الفرد لحياة كاملة وما تجاوز ذلك كان فيه غلو عقيم وافراط سقيم .

(٦)

سبق لنا في هذه المقالة ان الاخلاق توجب تهذيب الفرد وتحث عليه وهناك موجبات

عمرانية ثمنها ما هو غيري ومنها ما هو انانيّ . اما الانانية فهي تحتم على الفرد ان يتحلى بالتهذيب العقلي لان به تترقى قواه ويطيب له المعاش وان هو اغفله وجهله كان اشبه بالحيوان منه بمخلوق عاقل . والغيرية تقاضي الفرد ان يبذل من قواه شيئاً في سبيل سرور غيره فان لم يكن مهذباً يستحيل عليه نفع المجتمع الانساني .

وافضل انواع التهذيب هو التهذيب الفني واعني به درس الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير والشعر ولا يجب ان يتوخى فيه فقط النفع الشخصي والسعادة الذاتية وانما ينبغي ايضاً ان يعنى به لانه يهيء الفرد لنفع محيطه وهذا هو الموجب الغيري . على ان للوجه الانانيّ شأناً عظيماً في هذا التهذيب لان الفرد الذي يتعلم الموسيقى وسائر الفنون ينال من اللذة ما يتعذر استمتاع غيره بها ممن ليس على شيء من العلم بها .

الا ان الافراط في التهذيب الفني ليفضي بصاحبه الى اضرار شأن الافراط في سائر انواع التهذيب العقلي ولذلك وجب الاعتدال لان التطرف فيه يذهب الوقت و يضيع العمر سدى . واقبح المضار التي تنجم عنه مشاهدة فتى النساء اللواتي انصرفن الى الفنون الجميلة واغفلن سائر الاعمال . ومع ان الاخلاق تحث على التهذيب الفني فهي تشدد النكير على الافراط فيه ولا ترضى عن اساليبه في هذا العصر . وما احسن البحث في الرذائل التي انبعثت عن الغلو في حب الموسيقى فان ذلك يظهر كل الظهور ان المغالاة سوس ينخر عظام الامم حتى ينتهي بها الى العدم .

القاهرة خليل الخوري

المطلقة

بدت كالشمس يخضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود من الخفرات آنسة عروب
نوارٌ تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
ولكن الشوائب ادركته فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجداً وكاد يجف ناعمه الرطيب
اصابت من شبيبتها الليالي وما بلغت ذؤابتها المشيب